« فورة الترجمة »

ليس الاقبال على الترجمة في الادب الحديث بالشيء الجديد . فقد ترجمت آثار كثيرة مختلفة في حقول شتى من حقول الثقافة . وكان نصيب الادب منها كثيراً . ولا شك ان الادب العربي والادباء قد افادوا من هذا النصيب الغريب ، وارشدهم الى الاخذ بفنون جديدة كانت مهملة ، او معدومة . ومما زاد عنصر الترجمة قوة ان كبار ادبائنا اخذوا به ، ونقلوا بلغتهم واسلوبهم الكثير من الادب الغربي . ومن هـؤلاء الدكتور طه حسين واحمد حسن الزيات والعقاد والمازني وسواهم من قادة الجيل الحاضر ، بل نرى بعضهم راح يلح على الترجمة ما دمنا فقراء لأن ترجمة الآثار العالمية تفتح لأدبائنا آفاقاً جديدة في الاطلاع عـلى القمم الشامخة التي اكتشفها نبغاء العالم ، وكأن الحاجة الى الترجمة اصبحت فناً قائماً بذاته بعد ما تشابكت الآداب العالميـة ، واقتربت عوالم التفكير بعضها من بعض .

ولكن هذه الترجمة منها ما كان يحسن الى الادب، ومنها ما كان يسيء اليه . فهي من الحسنات حين يتناولها رجال ثقات في علمهم وادبهم ولغتهم ، اذا نقلوا نقلوا بأمانة، واذا كتبوا كتبوا بأسلوب عربي مبين . وهي من السيئات حين يتولاها رجال ضعفاء لا يكادون يتوهمـون الفكرة حتى يعبروا عنها تعبيراً سيئاً مشوهاً ركيكاً .

إن من يتتبع النشاط الادبي في هذه الايام عندنا يجد ان هنالك ثـلاث مدارس : مدرسة التأليف الحديث ، ومدرسة نشر القديم ، ومدرسة الترجمة . اما الاولى فلا تزال هزيلة ، لا تكاد تقوى على حمل نفسها . والسر في ضعفها يعود الى عوامل كثيرة . منها انطواء الاديب على نفسه ، وعـدم اتصاله بمجتمعه ، ومنها عدم التشجيع والاستجابة له في بيئته . ومنها ضعف الناشر الذي يخاف المؤلف ، ويخـاف القراء . واما الثانية ، وهي مدرسة نشر القديم ، فتتولاها مجامع محدودة، تعمل على إحياء الآثار القديمة المهملة ، او نشرها نشراً علمياً صحيحاً . لا تتخطى فائدتها استفادة المؤرخ الدارس منها ، فهي قليلة الاثر في الحياة الواقعية ، ضعيفة الطابع ، ليس لها لون ادبي موصوف ...

واما الثالثة ، وهي مدرسة الترجمة ، فهي اكثر الانواع الادبية رواجاً ، واحمدها فائدة للناشر والمترجم ، واغناها ثقة عند القراء . فالاقـلام حيث نظرت تترجم ، والمطابع تقذف ، والمكاتب تغص بألوان مختلفة ، وموائد مكتظة بكل طعام غريب ، ولون جديد من الوان الآداب العالمية . وقد كان اللون الفرنسي قبل الحرب العالمية الثانية يغلب على آثارنا المترجمة ، ثم جاراه اللون الانجليزي ... وكان المترجمون يتناولون ادب القصة حيناً ، وادب المقالة حيناً . ولم يكن في هذا كله ما يشجع على إتباع طريق الترجمة ، لأن اكثر ما ترجموه يعود الى ادب الخاصة ، والترف الفني المحدود .

والآن ، طغى على هذه الالوان كلها لون الادب الروسي الحديث . وقد كان هذا اللون معروفاً عندنا ضمن حدود ضيقة لم تسمح بالكشف عن هذه الكنوز الرائعة التي وجد فيها نقاد الغرب اصدق ما جادت به القرائح الادبية في مجالي القصة وتصوير الواقع . وغير بعيد ما احدثه الادب الروسي من ضجة حين نقله الناقلون الى الآداب الغربية الاخرى، وقد تجلى اثره في توجيه الادباء الى معالجة القصة الواقعية النفسية التي تتخذ النفس الانسانية مادتها الرئيسية . ولن ترى ابلغ في الدلالة على اثرها من هذا الاسلوب القصصي المعاصر الذي يأخذ عن القصة الروسية ويجمل منه، طريقة متبعة في كتابة القصة .

وقد تزاحمت دور النشر على نقل هذا اللون بعد ما رأت رواجاً له عند القراء . منها ما اتخذ طريقة الاقتباس والتلخيص . ومنها ما كان اميناً في نقل الاثر كله . ولا شك ان الطريقـة الاولى فيها مسخ للفكرة والقصة ؛ لا تؤتي نفعها في عـالم الادب ؛ بينا الطريقة الثانية الحريصة على نقل الاثر كله بأمانة هي الاجدر بالتقدير ، لأنها جعلت غايتها ادبية قبل ان تجعلها تجارية .

وفي طليعة هذه الدور الناشرة « دار العلم للملايين » و « دار اليقظة » وقد طامت كتاباهما على عالمنا ببرنامج ضخم ، سيترك تحقيقه اثراً كبيراً في الادب العربي الحديث ، ويعمل على تشجيعه ، لانـه السبيل الاول الى نقل هذه الآثار التي قرأهـا الكثيرون منا بلغات اجنبية . وليس بغريب بعد هذا ان تلقى هذه الآثار رواجاً عند القارىء العربي الذي يتلهف منذ القديم الى قراءة آثار تتفاعل نفسه مع نفسها، ويستجيب تفكيره لتفكيرها؛ لأنها منبثقة من صميم النفس الانسانية ، صادقة في تصويرها بآلامها ومتاعبها ، وبأسها ورجائها ، ونعيمها وشقائها . ولعل اهل الادب المحنط سوف يعتبرون بهذا الادب ، فيعرضوا عما ليس له صلة بأنفسنا ، ويقبلوا على كتابة ادب مستمد من واقعنا وحقيقتنا !

على ان افضل ما يلزم دور النشر الاخذ به ان تحسن الانتقاء والاختيار . فخير ما يخلد ويبقى تلك الآثار التي استهدفت النفس الانسانية في كل زمـان ومكان ، فتناولتها كنفس بعيـدة عن اغراض ضيقة محدودة ، لأن الغرض المحدود يموت ، ويموت بموته ما تسبب عنه ، بينما الأثر النقي يخلد ، لأنه يحمل معه المادة الخالدة . وكذلك مراعاة البيان المشرق امر واجب ، لان الكثير من الآثار الادبية كتبها اصحابها بلغة نقية تستتر فيها مؤثرات كثيرة . واللغة العربية نفسها لعلها تكون اكثر اللغات العالمية احتفالاً بالبيان ، لأنها تعتمد في الاثارة ، في كثير من المواقف ، على اللقطات البيانيـة الفنية . وقد رأيت الاكثرين ممن ترجموا يهملون الناحية البيانية ، ولا يهمهم ان يعبروا عن المعنى بأي اسلوب كان ... والآثار المترجمة انما تحيا بفكرتها ولغتها .

ويقيني ان الكثير من دور النشر المبثوثة في الاقطار العربية ستعمد الى النقل والترجمة لغاية ادبية او تجارية، ولن يبقى منها على المنافسة الا ما يستجيب لهذه الشروط التي ذكرت. كما ان الادب العربي الحديث سيشهد اكبر اتصال له بالأدب الغربي ، يدفعه ويوجهه توجيهاً صحيحاً نحو الواقع والحياة .

حلب **خليل هنداوي**

مطبعة دار الكتب

للطباعة الفنية والجرائد والمجلات

تجليد فني حديث للكتب والدفاتر التجارية

بناية العازارية الغربية — الطابق الاول تحت الارض